٢٢ - الاستسقاء

٧/ ٨/ ١٤١٩هـ

إنَّ الحَمْدَ للهِ نَحمَدُهُ.... أَمَّا بَعْدُ:

فَمَعاشِرَ المُسلِمينَ:

لَقَد خَلَق اُلله النَّاسَ وأَسبَغَ عَلَيهِم النِّعَمَ، ودَفَعَ عَنهُمُ النِّقَمَ، فَنِعَمُ اِلله تَتْرَى صَباحَ مَساءَ، {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا} [سورة إبراهيم: ٣٤] نِعَمٌ فِي الأَبدانِ {يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ} [سورة الانفطار: ٦-٨] وَنِعَمٌ فِي وَفرَةِ الطَّعامِ والشَّرابِ، وقَبلَ هَذا كُلِّهِ نِعمَةُ الإِسْلامِ، فَلِلهِ الحَمدُ مِن قَبلُ ومِن بَعدُ.

مَعاشِرَ المُسلِمينَ:

وَلَمَّا كانَت نِعَمُ اِلله تَفَضُّلاً مِنهُ وتَكَرُّماً، لَيسَ لِلعبادِ فِيها حَولٌ وَلاَ طَولٌ، أَمَرَ اُلله العِبادَ بِشُكرِ تِلكَ النِّعَمِ والمُداوَمَةِ عَلى ذَلِكَ، فَالشكرُ كَما قِيلَ: قَيدُ النِّعَمِ، وكَما قَالَ الآخَرُ: (إنَّ النِّعَمَ بِشُكرِها تَقِرُّ، وبِكُفرِها تَفِرُّ).

وخَيرٌ مِن ذَلِكَ القِيلِ قَولُ الحَكيمِ العَليمِ: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [سورة إبراهيم: ٧].

مَعاشِرَ المُسلِمينَ:

وَشُكرُ اِلله تَعَالَى لَيسَ بِاللِّسانِ فَحَسبُ، بَل بِجَميعِ وَسائِلِ الشُّكرِ.

ذَكَرَ بَعضُ الشُّرَّاحِ: أَنَّ شُكرَ اِلله تَعَالَى يَكونُ بِالقَلبِ واللِّسانِ والجَوارِحِ.

فَشُكرُ اِلله تَعَالَى بِاللِّسانِ: أَن يَلهَجَ لِسانُ العَبدِ بِحَمدِ اِلله وشُكرِهِ صَباحَ مَساءَ.

وَشُكرُ اِلله تَعَالَى بِالقَلبِ: أَن يَعتَقِدَ العَبدُ اعتِقاداً جازِماً -لا شَكَّ فِيهِ وَلا رَيبَ- أَنَّهُ لَولا اُلله وَحدَهُ لَما تَيَسَّرَت نِعمَةٌ واحِدَةٌ مِن جَميعِ تِلكَ النِّعَمِ الحِسِّيَّةِ والمَعنَوِيَّةِ.

وَشُكرُ اِلله تَعَالَى بِالجَوارِحِ: أَن يُسَخِّرَ العَبدُ جَميعَ جَوارِحِهِ فِي طاعَةِ اِلله ويَكُفَّها عَن مَعصِيَةِ اِلله.

مَعاشِرَ المُسلِمينَ:

ومِن عَجيبِ أَمرِ الشُّكرِ وعَظيمِ شَأنِهِ: أَنَّهُ يَعدِلُ عِندَ اِلله ما يَتَعدَّى بِهِ أَثَرَ النِّعَمِ؛ قَالَ ﷺ: «ما أَنعَمَ اُلله عَلى عَبدٍ نِعمَةً فَحَمِدَ اَلله عَلَيها، إِلاَّ كانَ ذَلِكَ الحَمدُ أَفضَلَ مِن تِلكَ النِّعمَةِ»[1]، وَقالَ ﷺ: «ما أَنعَمَ اُلله عَلى عَبدٍ نِعمَةً فَشَكَرَ اَلله عَلَيها، إِلاَّ كانَ الذِي أَعطَى [يَعنِي: مِنَ الشُّكرِ] أَفْضَلَ مِنَ الذِي أَخَذَ»[2]، يَعنِي: مِنَ النِّعَمِ.

مَعاشِرَ المُسلِمينَ:

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (٧٧٩٤).

(٢) رواه ابن ماجه (٣٨٠٥).

وعَلى عِظَمِ تِلكَ النِّعَمِ وسُرعَةِ تَكاثُرِها، فإنَّ سُرعَةَ زَوالِها بِيَدِ مَن أَعطاها وتَفَضَّلَ بِها.

مَعاشِرَ المُسلِمينَ:

إنَّ رَبَّكُم غَفورٌ رَحيمٌ، كَريمُ العَطاءِ، جَزيلُ الثَّوابِ، يُعطِي مَن يَشاءُ بِفَضلِهِ، ويَمنَعُ مَن يَشاءُ بِعَدلِهِ، ولاَ يَظلِمُ رَبُّكَ أَحَداً.

فَاللهُ تَعَالى حَرَّمَ الظُّلمَ عَلى نَفسِهِ: {وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ} [سورة فصلت: ٤٦]، {إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً} [سورة يونس: ٤٤]، وَفِي الحَديثِ القُدسِيِّ: «يَا عِبادِي، إِنِّي حَرَّمتُ الظُّلمَ عَلى نَفسِي»[1].

مَعاشِرَ المُسلِمينَ:

إنَّ سَبَبَ احتِجابِ النِّعَمِ هُو ظُلمُ العِبادِ لأَنفُسِهِم وَلِغَيرِهِم.

فَما نَزَلَت مُصيبَةٌ إلاَّ بِذَنبٍ ولا تَرتَفِعُ إلاَّ بِتَوبَةٍ.

استَسقَى العَبَّاسُ بنُ عَبدِالمُطَّلِبِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنه فَقالَ فِي دُعائِهِ: «اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَم تَنزِل عُقوبَةٌ إلاَّ بِذَنبٍ، ولاَ تَنكَشِفُ إلاَّ بِتَوبَةٍ».

فَما نَزَلَ بِالعِبادِ أَمرٌ، صَغيراً كانَ أَو كَبيراً، إلاَّ بِسَبَبِ ذُنوبِهِم ومَا اقتَرَفَت جَوارِحُهُم: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [سورة الروم: ٤١].

{وَمَا أَصَابَكُمْ مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ} [سورة الشورى: ٣٠].

{أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَـذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [سورة آل عمران: ١٦٥].

مَعاشِرَ المُسلِمينَ:

إنَّ رائِحَةَ الذُّنوبِ نَتِنَةٌ، وعاقِبَتَها وَخيمةٌ، تَدفَعُ النِّعَمَ وتَجلُبُ النِّقَمَ.

تُخالِفُ بينَ القُلوبِ والأَبدانِ، تَمحَقُ البَرَكاتِ، وتَجعَلُ عاقِبَةَ الأمرِ خُسراً.

قَالَ ﷺ: «**يا مَعشَرَ المُهاجِرينَ، خَمسٌ إذا ابتُلِيتُم بِهِنَّ، وأَعوذُ بِاللهِ أَن تُدرِكُوهُنَّ: لَم تَظهَرِ الفاحِشَةُ فِي قَومٍ قَطُّ، حَتَّى يُعلِنُوا بِها، إلاَّ فَشا فِيهِم الطَّاعُونُ والأَوجاعُ التِي لَم تَكُن مَضَت فِي أَسلافِهِمُ الذِينَ مَضَوْا. وَلَم يَنقُصُوا المِكيالَ والمِيزانَ إلاَّ أُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وشِدَّةِ المَؤونَةِ، وجَورِ السُّلطانِ عَلَيهِم. ولَم يَمنَعوا زَكاةَ أَموالِهِم، إلاَّ مُنِعوا القَطرَ مِنَ السَّماءِ، وَلَولا البَهائِمُ لَم يُمطَرُوا. ولَم يَنقُضُوا عَهدَ اللهِ وعَهدَ رَسولِهِ، إلاَّ سَلَّطَ عَلَيهِم عَدُوّاً مِن غَيرِهِم فَأَخذُوا بعضَ ما فِي أَيديهِم. وما لَم تَحكُم أَئِمَّتُهُم بِكتابِ اللهِ، ويَتَخَيَّروا مِمَّا أَنزَلَ اللهُ، إلاَّ جَعَلَ اللهُ بأسَهُم بَينَهُم**» أَخرَجَهُ ابنُ ماجَهْ وغَيرُهُ.[2]

عِبادَ اللهِ:

([1]) رواه مسلم (٢٥٧٧).

([2]) رواه ابن ماجه (٤٠١٩).

كَيفَ يُخادِعُ قَومٌ رَبَّهُم: يَسمَعونَ داعِيَ الفَلاحِ، ومعَ هَذا لِسانُ حالِهِم {وَأَصَرُّواْ وَاسْتَكْبَرُواْ اسْتِكْبَاراً} [سورة نوح: ٧]، وآخَرونَ يُهْرَعونَ إلى المَساجِدِ عِندَ سَماعِ النِّداءِ، فَما أَن تُقضَى الصَّلاةُ إلاَّ والغِيبَةُ والنَّميمَةُ فاكِهَةُ مَجالِسِهِم، لَم تُؤَثِّر فِيهِم صَلاتُهُم. أَحَدُهُم يَسمَعُ فِي قِراءَةِ إمامِهِ تَحريمَ الرِّبا فَيَتَعاطاهُ، ويَسمَعُ تَحريمَ الكَذِبِ فَيكذِبُ!! وَهَلُمَّ جَرّاً.

وَآخَرونَ مِنَ المُسلِمينَ قَد لَوَّثُوا جَوارِحَهُم بِالخَطايا والآثامِ، فَسَماعٌ لِما حَرَّمَ اُلله، ونَظَرٌ إلى ما حَرَّمَ اُلله، ومَشْيٌ إلى ما حَرَّمَ اُلله {وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـكِن كَانُواْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [سورة البقرة: ٥٧].

مَعاشِرَ المُسلِمينَ:

لَقَد لَبَّسَ الشَّيطانُ عَلى العِبادِ بِشُبُهاتٍ وشَهَواتٍ، يَقدُمُ أَحَدُهُم عَلى أَمرٍ لا يَعلَمُ حَلالَهُ مِن حَرامِهِ، فَيُفتِي نَفسَهُ بِما تَهوى، فَيقولُ عَلى اِلله بِلا عِلمٍ، وقَد غَفَلَ عَن قَولِ اِلله تَعالَى: {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً} [سورة الإسراء: ٣٦].

وَمِن تَلبِيسِ الشَّيطانِ عَلى بَعضِ النَّاسِ: التَّفريطُ فِي أَمرِ المَسؤولِيَّةِ، المُتَمَثِّلُ فِي قَولِهِ ﷺ: «**كُلُّكُم راعٍ، وكُلُّكُم مَسؤولٌ عَن رَعِيَّتِهِ**»[1].

يَهتَمُّ بعضُ الآباءِ بِطعامِ أَولادِهِ وشَرابِهِم ولِباسِهِم، ويُهمِلُ ما سِوى ذَلِكَ.

فَلا يَعلَمُ عَن حالِ أَولادِهِ شَيئاً، لا أَينَ يَذهَبونَ، ولا معَ مَن يَمشونَ، وماذا يَقْرَؤُونَ، وماذا يَسمَعونَ ويُشاهِدونَ.

فَقَد يَقَعونَ فِي كَبائِرَ ومُوبِقاتٍ، ولَم يُعطُوا أباهُم أَدنى اهتِمامٍ فِي ذَلِكَ؛ لِشُعورِهِم بِعَدَمِ مُبالاتِهِ بِهِم، وعَدَمِ مُتابَعَتِهِ لَهُم، ومَن أَمِنَ العُقوبَةَ أساءَ الأَدَبَ.

وَقُل مِثلَ هذا فِي ذَلِكَ الوالِدِ الذِي أَرخَى الزِّمامَ لِزَوجَتِهِ أَو بَناتِهِ، فَأَصبَحنَ يَقضِينَ جُلَّ وَقتِهِنَّ خارِجَ الدَّارِ، فَتارةً يَقْطَعنَ الأسواقَ طُولاً وعَرضاً، وتارةً عِندَ فُلانَةٍ وأُخرى عِند فُلانَةٍ، فَلا هَمَّ لَهُنَّ إلاَّ الخُروجَ مِن حَبسِ الدَّارِ، كُلُّ ذَلِكَ بِمَلابِسَ يَستَحِي اللِّسانُ مِن ذِكرِ وَصفِها، فَضلاً عَنِ الرِّضا لِلمَحارِمِ بِلُبسِها.

أَو ذَلِكَ المُصَلِّي الذِي فَتَحَ بَيتَهُ وأَنفَقَ مالَهُ فِي إدخالِ تِلكَ القَنَواتِ الفَضائِيَّةِ فِي بَيتِهِ، عَجَباً لِحالِكَ أَيُّها الوَالِدُ! أَلَم تَعلَم أَنَّكَ بِفِعلِكَ هَذا تُعادِي الحِشمَةَ وَالحَياءَ، وتُوالِي التَّبَرُّجَ والسُّفورَ، وتَنشُرُ الرَّذيلَةَ وتُحارِبُ الفَضيلَةَ؟!

---

(1) رواه البخاري (٢٥٥٤)، ومسلم (١٨٢٩)، وغيرهما.

الخطبة الثانية

لا إِلهَ إِلاَّ اُلله، يَحكُمُ ما يَشاءُ ويَفعَلُ ما يُريدُ، وكُلُّ شَيءٍ عِندَهُ بِمِقدارٍ، يُعطِي فَلا يَمنَعُ أَحدٌ ما أَعطى اُلله، ويَمنَعُ فَلا يُعطِي أحدٌ ما مَنَعَ اُلله.

مَعاشِرَ المُسلِمِينَ:

تُوبُوا إِلى اِلله تَوبَةً نَصوحاً، فَاُلله تَعَالَى لَطيفٌ بِعِبادِهِ، يَقبَلُ تَوبةَ التَّائِبينَ، ويُقيلُ عَثرَةَ المُذنِبينَ.

فَيا مَن فَرَّطَ فِي أَداءِ الصَّلاةِ أَو كانَ وَلِيّاً عَلى مَن فَرَّط فِيها، اتَّقِ اَلله تَعَالَى فِي نَفسِكَ، واعلَم أَنَّ الصَّلاةَ عَمودُ الدِّينِ، وهِيَ الفَيصَلُ بينَ العَبدِ والكُفرِ والشِّركِ.

وَيا مَن لَوَّثَ مالَهُ بِالحَرامِ، اعلَم أَنَّ ذَلِكَ مِن أَسبابِ رَدِّ الدُّعاءِ، وحُلولِ النَّكَباتِ، ونَزعِ البَرَكاتِ.

ويَا مَن عَقَّ والِدَيهِ أَو ضَيَّعَ أَولادَهُ، اعلَم أَنَّكَ مَسؤولٌ ومُسائَلٌ، فَلاَ مَلجَأَ مِنَ اِلله إِلاَّ إِلَيهِ.

مَعاشِرَ المُسلِمِينَ:

لِنُرِيَ اَلله مِن أَنفُسِنا خَيراً، يُسبِغِ اُلله عَلَينا نِعَمَهُ مِن حَيثُ نَحتَسِبُ

ومِن حَيثُ لا نَحتَسِبُ؛ فَاُلله أَرحَمُ بِعِبادِهِ مِنَ الأُمِّ بِوَلَدِها.

{**رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**} [سورة الأعراف: ٢٣]، {**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**} [سورة البقرة: ٢٠١]، رَبَّنا لا تُؤاخِذنا بِما فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنَّا.

اَللَّهُمَّ أَنتَ الغَنِيُّ ونَحنُ الفُقَراءُ، أَنزِل عَلَينا الغَيثَ وَلا تَجعَلنا مِنَ القانِطينَ، اَللَّهُمَّ اجعَل ما أَنزَلتَهُ قُوَّةً لَنا وَبَلاغاً إِلى حينٍ، اَللَّهُمَّ اسقِنا غَيثاً مُغيثاً هَنيئاً مَريئاً، غَدَقاً سَحّاً طَبَقاً، نافِعاً غَيرَ ضَارٍّ، اَللَّهُمَّ سُقيا رَحمَةٍ لا سُقيا عَذابٍ ولاَ هَدمٍ ولاَ غَرَقٍ.

مَعاشِرَ المُسلِمِينَ:

اقتَدُوا بِسُنَّةِ نَبِيِّكُم ﷺ بِقَلبِ الرِّداءِ تَفاؤُلاً بِقَلبِ الحال، وادعُوا رَبَّكُم تَضَرُّعاً وخِفيَةً.

اَللَّهُمَّ لا تَرُدَّنا خائِبينَ، دَعَوناكَ رَبَّنا فَأَجِبنا، وَسأَلناكَ خالِقَنا فَآتِنا سُؤلَنا. سُبحانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وسَلامٌ عَلى المُرسَلينَ، والحَمدُ لِله رَبِّ العالَمينَ.